

السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق بعد الاحتلال الامريكي

The Egyptian foreign policy on Iraq after the American occupation

Dr. Arshad Muzahim Mijbel

م.د. ارشد مزاحم مجبل^(١)

المقدمة

شهدت العلاقات العراقية المصرية عدة مشاهد راسمة للواقع العربي متمثلاً بالموقف الشعبي، الجماهيري والذي يتعد أحياناً عن المواقف الرسمية للسياسة في البلدين، وكان للحرب العالمية الثانية ومارسنته من خرائط سياسية دورٌ في شد التجاذب بين السياسة العراقيين والمصريين تبعاً لأفكارهم العقائدية أو لولاءاتهم المحورية، وكان من أبرز معالم هذه التطورات تأسيس جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥م، التي باتت تمثل بشكل أو آخر النظام الإقليمي العربي، حيث أن أهم أسباب قيام الجامعة العربية، هو التنافس العراقي المصري على الزعامة السياسية العربية، وبخاصة قبل قيام الثورتين في كل من مصر و العراق سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٨م على التوالي. وما أعقب ذلك من إحداث كان لها الأثر البارز في رسم السياسة الخارجية للبلدين وهذا ماستناوله في هذا البحث.

أولاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٤٥-١٩٧٠.

شهدت الحقب التي تلت الحرب العامة الثانية لغاية وفاة الرئيس جمال عبد الناصر عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) مرحلة تأسيس جامعة الدول العربية:

تجلّت هذه المرحلة بعد رفض مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر سنة ١٩٤٢م، فكرة نوري باشا سعيد رئيس وزراء العراق آنذاك المتضمنة توحيد دول الهلال الخصيب^(٢).

١ - كلية القانون / الجامعة العراقية.

ولم يكتفِ النحاس برفض الفكرة^(٣)، وإنما ذهب إلى أبعد من ذلك، فطرح فكرته الجديدة التي تستعيز عن الفكرة العراقية^(٤)، لذلك جاء تحركه وفقاً إلى مبادرته في سنة ١٩٤٣م، عن قيام جامعة الدول العربية^(٥)، وبعد صدور ميثاق جامعة الدول العربية أخذ موقف العراق يتبدل اتجاه جامعة الدول العربية، وبدأت معها اتهامات السياسة العراقيين لمصر والجامعة الدول العربية، من خلال وصف الأخيرة بأنها أصبحت أداة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية المصرية، واستدلوا على ذلك باحتكار مصر لمنصب الأمين العام^(٦).

٢) مرحلة ثورة تموز - يوليو ١٩٥٢ في مصر:

تعد هذه الثورة نقطة تحول كبيرة في السياسة الخارجية المصرية، حيث كان لها انعطافاً كبيراً في مجريات الأحداث على الساحة العربية وانعكست على مجريات العلاقات العربية العربية ومنها العلاقات العراقية المصرية^(٧)، فقد حملت الثورة الخلاف والتناقض مع الواقع السياسي السائد في العراق، فهذه الثورة قلبت الأوضاع رأساً على عقب^(٨)، فهي من جهة مثلت قلقاً كبيراً للنظام السياسي الحاكم في العراق، والذي أخذ يخشى من تأثير تلك الثورة على وجوده، خاصة مع طروحات جمال عبد الناصر التحررية، ومن جهة أخرى ظهور التناقض والاختلاف من ميدان السياسات الداخلية والخارجية والتنافس بين النظام المصري، والنظام العراقي على زعامة الوطن العربي^(٩).

- ٢- الهلال الخصيب: اصطلاح جغرافي يقصد به تلك الأقطار العربية المحيطة بشمال شبه الجزيرة العربية وهي العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، بمياة هلال تمتد أطرافه بين خليجي العقبة والسويس من جهة الغرب وحتى خليج البصرة من جهة الشرق، أما رأس الهلال فيقع عند الحدود التركية للمزيد أنظر الرابط: <http://ar.wikipedia.org>
- ٣- د. جهاد مجيد محيي الدين، العراق والسياسة العربية (١٩٨١ - ١٩٥٨) منشورات مركز دراسات الخليج العربي، البصرة، ١٩٨٠، ص ٢٤٠.
- ٤- وصفت بأنها ذات أبعاد ومطامع جزئية، فكرة أعم وأشمل لا تقتصر في أوصافها على محاولة ربط دول الهلال الخصيب ببعضها سياسياً، وأما تعداها الى أقطار عربية أخرى. للمزيد انظر: سعد رزوق شبر محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢-١٩٤٥، ط١، بغداد ١٩٨٨، ص ٢٤٨.
- كذلك: د. غانم محمد صالح، العراق والوحدة العربية بين ١٩٣٩ - ١٩٥٨ - الفكرة و الممارسة، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، ١٩٩٠، ص ١١٧.
- ٥- د. أحمد محمود جمعة، أنشاء جامعة الدول العربية مقدماتها وتطوراتها، الجزء ٣، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦، ص ١٢٩.
- ٦- hasou, tawfiq y.: the struggle for the arab world " Egypt s Nasser and the arab league, ckegan p. 17, poul one " England, lst., 1985.
- ٧- عبيد أمين اللهبي، العلاقات العراقية المصرية والدور المصري المطلوب، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الربط: <http://miraq.com>
- ٨- خضير أبراهيم سلمان محمد البدراني، العلاقات العراقية-المصرية للمدة (١٩٧٨-٢٠٠٠) م، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧.
- ٩- يعد حلف بغداد من اهم النقاط الخلافية التي كانت متصدرة الساحة السياسية آنذاك بين عبد الناصر والباشا نوري السعيد بما يحملان الاثنان من رؤى مختلفة الواحد عن الآخر. للمزيد انظر: عبيد أمين اللهبي، مرجع سابق.
- كذلك: ناصر الدين النشاشيبي، ماذا جرى في الشرق الأوسط، منشورات المكتب التجاري، مطبعة دار الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٦٢، ص ٤٠٦.
- كذلك: د. ليلي ياسين حسين الأمير، نوري السعيد ودوره في حلق بغداد واثره في العلاقات العراقية . العربية حتى عام ١٩٥٨، مكتبة الفكر العربي، البصرة، ٢٠٠٨، ص ١٥١.

٣) مرحلة ثورة ١٤ تموز - يوليو ١٩٥٨ في العراق:

بمجرد قيام هذه الثورة قطع عبد الناصر زيارته إلى يوغسلافيا وتوجه إلى موسكو طالباً من "خروشوف" (١٠)، اتخاذ الإجراءات لمنع أي تدخل غربي ضد الثورة العراقية (١١)، فضلاً عن قيام عبد الناصر بعد عودته من الاتحاد السوفيتي بإصدار بيان جاء فيه "أن الجمهورية العربية المتحدة، ستقوم بجميع التزاماتها تجاه العراق الجمهوري وحكومته الجديدة، وذلك وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي، أي تفعيل ميثاق الدفاع العربي المشترك، وأن إي عدوان على العراق هو بمثابة عدوان على الجمهورية المتحدة" (١٢). لم تكتفِ مصر بهذا، حيث أنها كانت أول دولة بالعالم تعترف بحكومة الثورة (١٣).

هكذا بعد القطيعة التي كانت بين العراق ومصر قبل الثورة، جاءت رغبة من قيادة الثورة لإقامة أوثق العلاقات مع الشقيقة مصر في كافة المجالات (١٤).

لكن هذه العلاقات الطيبة لم تدم طويلاً، وذلك لنشوب خلافات بين قادة الثورة في العراق بعد أربعة أشهر من قيامها (١٥). وسرعان ما تفاقم الخلافات بين قاسم وعبد الناصر لتصل إلى حد القطيعة، واتهام الواحد للآخر بالعمالة والخيانة (١٦).

٤) مرحلة ثورة ٨ شباط - فبراير ١٩٦٣ في العراق:

جاءت هذه الثورة كنتيجة حتمية للخلافات وللانشقاقات وللصراعات التي قامت بين قادة الثورة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف حالت بالنهاية إلى قتل قاسم وتولي عارف زمام الرئاسة، وأن من البديهي أن يكون من أكثر الدول و الزعماء العرب ترحيباً بهذه الثورة هي مصر، وعبد الناصر (١٧).

١٠- خروشوف: نيكيتا سيرغيفيش خروتشوف، زعيم شيوعي ورجل دولة سوفيتي، ولد في ١٥ نيسان - أبريل سنة ١٨٩٤م، بمقاطعة كورسك الواقعة على الحدود الفاصلة بين روسيا و أوكرانيا من عائلة يعمل أفرادها بالمناجم، عمل في بداية حياته راعياً ومن ثم انتسب إلى الجامعة العمالية سنة ١٩٢٢م، تولى عدة مناصب في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، إلى أن تقلد زمام الأمور وأصبح رئيساً للاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٣م، انتهج خروشوف سياسة الانفتاح والتفهم والتأييد إزاء دول العالم الثالث وخصوصاً الدول العربية منها، تخلى عن جميع مناصبه في ١٤ تشرين الأول - أكتوبر سنة ١٩٦٤م.

١١- جاء تصرف عبد الناصر هذا لمنع أي تدخل خارجي لقمع الثورة كما قمعت من قبلها ثورة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١م، عندما تدخلت القوات البريطانية لإخمادها. للمزيد انظر: محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، بيروت، دار النهار، ١٩٧٠، ص ١٨٧-١٨٩.

كذلك: د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٤٣٤.

١٢- فائق السامرائي، الوضع في العراق وإثره في القومية العربية، الدار القومية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٥٩، ص ١٢٤.

١٣- جاء ذلك بسبب القطيعة والتصعيد السياسي والإعلامي بين العراق ومصر قبل الثورة، حيث لم يعترف العراق بالجمهورية العربية المتحدة، كذلك لم تعترف الأخيرة بالاتحاد الهاشمي الذي حل تلقائياً بعد قيام الثورة.

١٤- وكنتيجة لتلك المعطيات قرر عبد الكريم قاسم قائد الثورة، إرسال وفد كبير على أعلى مستوى يرثاسة عبد السلام عارف وعدد من وزراء والمسؤولين في الحكومة الجديدة إلى دمشق حيث كان عبد الناصر هناك. للمزيد انظر: د. عبد الجبار جرمود، تاريخ حياتي ١٩١٠-١٩٧١م، بغداد، دار النهضة، ١٩٦٥، ص ٣٢١.

١٥- وذلك لانقسام قادتها إلى فريقين، فريق مؤيد للوحدة أو الاتحاد مع الجمهورية المتحدة، وكان على رأسهم عارف، والقوميين، وحزب البعث العربي الاشتراكي، ويقف على الجانب الآخر الفريق الرافض للوحدة بقيادة قاسم، والشيوعيين، والأكراد. للمزيد انظر: المرجع السابق، ص ٣٢١.

١٦- رياض رشيد ناجي الحيدري، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

١٧- بالفعل كانت القاهرة أول العواصم العربية والدولية اعترافاً بالثورة العراقية الجديدة، حيث أن عبد الناصر أرسل برقية تهنئة إلى عارف، بعد انتهاء عمليات القتال ونجاح الثورة بخمس عشرة دقيقة فقط. للمزيد انظر: د. عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٥٢٩.

ألا إننا نجد أن الإحداث أثبتت بأن أي من عارف وحزب البعث قادة الثورة، لم يكونا جادين في دعواهما للوحدة مع مصر التي تنغوا بها قبل قيام الثورة والتي على أساسها قاموا بها، إلا أنهم استخدموا اسم عبد الناصر والقومية العربية للوثوب إلى السلطة، وذلك لما يحمله عبد الناصر من شعبية وحب واحترام لدى غالبية الشعب العراقي والعربي^(١٨).

ثانياً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٧٠-١٩٨١.

شهدت الحقب التي تلت استلام الرئيس أنور السادات لغاية إغتياله عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) مرحلة حرب ٦ تشرين الأول _ أكتوبر ١٩٧٣:

تعد مرحلة حرب ٦ تشرين الأول. أكتوبر سنة ١٩٧٣م، محطة تاريخية في إطار العلاقات العراقية - المصرية، حيث كان للعراق دورٌ بارزٌ وثقل سياسي كبير^(١٩)، فقد قدم العراق لمصر وسوريا، كل أصناف الدعم العسكري لتدعيم الجبهة المصرية. السورية، الأمر الذي كان له انعكاساته الإيجابية على التضامن العربي^(٢٠)، كما تواصل الدعم العراقي للجبهة العربية ضد الكيان الصهيوني على كافة المستويات العسكرية، والسياسية، والاقتصادية^(٢١).

وكان العراق من مؤيدي استخدام "النفط كسلاح في المعركة" فقد عمل مع باقي الدول العربية المنتجة للنفط على عدم بيع النفط العربي إلى الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، باستثناء فرنسا التي كانت واقفة موقف الحياد والمساند للعرب، مما جعل بالأزمة الاقتصادية أن تضرب هذه الدول، هذا بالإضافة إلى تقليل صادرات النفط للدول التي تتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وتتعاطف مع إسرائيل بصورة متكررة لا تقل عن ٥٠% ابتداء من شهر تشرين الأول. أكتوبر سنة ١٩٧٣م، من حجم الإنتاج الفعلي لشهر أيلول. سبتمبر سنة ١٩٧٣م^(٢٢).

١٨- حيث تم لكليهما الوصول إلى السلطة عارف بثورة ٨ شباط. فبراير سنة ١٩٦٣م، كما ذكرنا، وحزب البعث بثورة ١٧ تموز. يوليو سنة ١٩٦٨م، من دون إن يحقق أي منهما الوحدة المنشودة، ولا حتى الإتحاد الفدرالي الذي قاوموا بشدة أيام حكم قاسم ١٩- الفريق سعد الدين الشاذلي، حرب أكتوبر، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، باريس، بالتعاون مع دار الحرية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٠، ص ١٩٨-١٩٩.

٢٠- مذكرات محمود رياض (١٩٧٨-١٩٧٨)، البحث عن السلام في مصر والصراع في الشرق الأوسط، ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٤٠.

٢١- أن كل من الرئيس المصري أنور السادات والرئيس السوري حافظ الأسد لم يتوقعوا أن يشارك العراق بأي مجهود حربي في الحرب، وذلك لوجود أكثر من خطر على العراق، منها التواجد المكثف للقوات الإيرانية المنتشرة على طول حدودها مع العراق، بالإضافة إلى ثورات الأكراد التي لا تنقطع لكن مع بدء القتال اتصل الرئيس العراقي أحمد حسن البكر بالرئيسين السادات والأسد، يعلمهما بأن العراق قد قرر أن يشارك في المعركة. للمزيد انظر: خضير إبراهيم سلمان الحمداني، مرجع سابق، ص ١١.

كذلك: اللواء حسن مصطفى أحمد، الجبهة الشرقية ومعاركها في حرب رمضان، بغداد، مديرية المطابع العسكرية، ١٩٨٧، ص ١٩٣.

كذلك: محمد حسنين هيكل، أكتوبر ١٩٧٣ السلاح والسياسة، القاهرة، مركز الأهرام للتربية والنشر، ١٩٩٣، ص ٣٤. ٢٢- ويصف " نيسكون ذلك القرار ويقول " لقد تلقى الغرب في خريف سنة ١٩٧٣م، درساً قاسياً ومؤلماً لا ينسى. للمزيد انظر: ريتشارد نيكسون، مذكرات الرئيس نيكسون، الحرب الحقيقية، ترجمة، د. سهيل زكل، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٣، ص ١١١.

٢) مرحلة معاهدة السلام المصرية الصهيونية:

بدأت هذه المرحلة بعد إن عزم السادات بإجراء الصلح مع الكيان الصهيوني، حيث أعلن ذلك صراحة في خطابه في جلسة مجلس الشعب المصري في تشرين الثاني _ نوفمبر سنة ١٩٧٧م، والتي أعلن فيها عن اقتراحه بالذهاب إلى القدس^(٢٣)، والذي جاء فيه "أنه مستعد للذهاب إلى أي مكان في العالم بحثاً عن السلام، حتى لو كان هذا المكان القدس ذاتها والكنيست"^(٢٤)، نفسه " (٢٥).

وهكذا نفذ الرئيس السادات مساء يوم السبت ٢٠ تشرين الثاني . نوفمبر سنة ١٩٧٧م، حينما حطت طائرته في مطار (بن غورين) وسط أكبر حشد إعلامي عرفه العالم كافة^(٢٦)، وعلى الرغم من تباين مواقف الدول العربية من زيارة السادات إلى الكيان الصهيوني بين الراض والمتحفظ، إلا أن توقيع مصر في أيلول _ سبتمبر سنة ١٩٧٧م، على تسوية "كامب ديفيد"^(٢٧) دفع الدول العربية المتحفظة إلى موقف الرفض للتحرك المصري. فشرعت الدول العربية جميعها بقطع العلاقات مع مصر.

كما طلبت الحكومة العراقية لعقد مؤتمر القمة العربي، وتم عقده بالفعل في بغداد سنة ١٩٧٨م، وتمخض عنه: إرسال رسالة تحمل توقيع رئيس المؤتمر "البكر" يحملها إلى السادات وفد من القمة^(٢٨).

وكان رد الدول العربية المعارضة لهذه الاتفاقية هو تنفيذ مقررات قمة بغداد، فقد قرر مجلس جامعة الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية والاقتصاد والمال العرب، في الاجتماع الذي عقد ببغداد من المدة ٣١.٢٧ آذار _ مارس من نفس السنة، فرض العقوبات التالية على الحكومة المصرية^(٢٩):

أ- سحب السفراء العرب من مصر فوراً.

ب- تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية.

ج- نقل مقر جامعة الدول العربية من مصر إلى تونس.

٢٣- محمد حسنين هيكل، حديث المبادرة، ط٦، بيروت، ١٩٨٥، ص ٤٨.

٢٤- الكنيست: أي "المجمع" هو البرلمان الإسرائيلي حيث يتركز عمل التشريع ومراقبة الحكومة الإسرائيلية. عدد نواب الكنيست ١٢٠ نائباً، ينتمي كل منهم إلى حزب مسجل ويعمل ممثلاً لهذا الحزب. أطلق على البرلمان الإسرائيلي اسم "الكنيست" نسبة إلى اسم مجلس الحاخامين الوارد في الميشناه: "قبل موسى التوراة من سيناء وسلمها ليشوع، ويشوع للشيوخ، والشيوخ للأنبياء، والأنبياء سلموها لرجال الكنيست الكبير.

٢٥- محمد حسنين هيكل، عواصف الحرب وعواصف السلاح، المفاوضات السرية بين العرب و (إسرائيل)، الكتاب الثاني، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٥٩-٣٦٠.

٢٦- د. علي الدين هلال وجميل مطر، النظام الإقليمي العربي، مرجع سابق، ص ١٣٦.

٢٧- كامب ديفيد: عبارة عن اتفاقية تم التوقيع عليها في ١٧ سبتمبر ١٩٧٨ بين الرئيس المصري محمد أنور السادات ورئيس وزراء إسرائيل مناحيم بيغن بعد ١٢ يوماً من المفاوضات في المنتجع الرئاسي كامب ديفيد في ولاية ميريلاند القريب من عاصمة الولايات المتحدة واشنطن. حيث كانت المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية تحت إشراف الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر. ونتج عن هذه الاتفاقية حدوث تغييرات على سياسة العديد من الدول العربية تجاه مصر بسبب ما وصفه البعض "بتوقيع السادات على اتفاقية السلام دون المطالبة باعتراف إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره" وتم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٨٩ نتيجة التوقيع على هذه الاتفاقية ومن جهة أخرى حصل الزعيمان مناصفة على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٨ بعد الاتفاقية حسب ما جاء في مبرر المنح للجهود الحثيثة في تحقيق السلام في منطقة الشرق الأوسط. للمزيد انظر: جمال علي زهران، السياسة الخارجية لمصر (١٩٧٠م. ١٩٨١م)، مكتبة مدبولي، القاهرة، تاريخ النشر بلا، ص ١٢٣.

٢٨- إلا أن السادات لم يأخذ برسالة القمة العربية وسار قدماً نحو هدفه بعقد المعاهدات والاتفاقيات مع إسرائيل فوقعت المعاهدة المصرية . الإسرائيلية في ٢٦ آذار . مارس سنة ١٩٧٩م) أحمد عصام عودة، الملف الكامل لمسيرة القمة العربية، عمان، مطابع المؤسسة الأردنية، ١٩٨١، ص ٣٥.

٢٩- خضير إبراهيم سلمان محمد البدراني، مرجع سابق، ص ٣٦.

ثالثاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٨١-١٩٩٠.

شهدت الحقبة التي تلت مقتل السادات واستلام الرئيس حسني مبارك السلطة ولغاية الدخول العراقي للكويت عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) حرب الخليج الأولى ١٩٨٠-١٩٨٨:

بعد مرور وقت ليس بالطويل من بدء القطيعة العربية لمصر وخروج مصر من دائرة الصراع العربي - الإسرائيلي، بدأت الحرب العراقية - الإيرانية، فأثرت هذه الحرب بالسلب على إدارة الصراع العربي - الصهيوني^(٣٠).

مما عمد بصانع القرار السياسي الجديد في مصر المتمثل بالرئيس حسني مبارك، الذي تولى حكم مصر بعد اغتيال السادات سنة ١٩٨١م، إلى انتهاج سياسة خارجية جديدة، وتحسين العلاقات مع الدول العربية وبالأخص العراق منها، لكونه يمر بمرحلة صعبة وعصيبة وهو يخوض حربه الدامية مع إيران^(٣١).

فتحسنت العلاقة بين العراق ومصر، واصبح هناك تتطور بالعلاقة في شتى المجالات^(٣٢). ووصلت العلاقات العراقية - المصرية الى أعلى مستوى في تلك الفترة، ونلاحظ ذلك عندما رفضت القيادة المصرية عرضاً إيرانياً رسمياً غير مباشر، بشأن شراء معدات عسكرية بقيمة مليار دولار^(٣٣). وكنتيجة حتمية لموقف مصر الرسمي والشعبي عمل العراق على إعادة مصر إلى الصف العربي، وكان العراق مؤمن بضرورة إعادة العلاقات العراقية - المصرية^(٣٤). حيث كان للعراق دورٌ مهمٌ ومؤثرٌ وفعالٌ في اتخاذ القرار العربي القاضي بإعادة مصر إلى الجامعة العربية بشكل رسمي، وهذا ماحدث في مؤتمر قمة الدار البيضاء في تشرين الثاني - نوفمبر سنة ١٩٨٩م.

٣٠ - لأن الحرب قللت من إمكانية نشوب حرب عربية ضد إسرائيل، كما أنها مكنت الجيش الإسرائيلي من تخفيض ميزانيته السنوية بسبب ذلك. للمزيد أنظر: جمال مصطفى عبدالله، الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط ١٩٩٩-٢٠٠٠، رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٨٤.

كذلك: د. خلدون ناجي معروف، إتفاقية التسوية وإثرها على القضية الفلسطينية. في كتاب علاقات إسرائيل الدولية، مركز الدراسات الفلسطينية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، بغداد، ١٩٩٠، ص ٢٨٣.

٣١ - هنا بدأت أول مظاهر إعادة وتحسين العلاقة بين العراق ومصر، فقد كانت هذه الحرب من الفرص المهمة والكبيرة لإعادة مصر علاقاتها الطبيعية مع الدول العربية، فوفقت موقف إيجابي مع العراق في حربه مع إيران. للمزيد أنظر: خضير إبراهيم سلمان محمد البدراني، مرجع سابق، ص ٤٣.

كذلك: د. جمال علي زهران، ابعدا الدور المصري تجاه الحرب العراقية - المصرية، مجلة السياسة الدولية، مؤسسة الإهرام، القاهرة، العدد ٧٩، ١٩٨٥، ص ١٢٢.

٣٢ - فقامت مصر بتجهيز الأسلحة والذخائر إلى الجيش العراقي، ولم تمضي الا فترة قصيرة حتى كانت خطوط الإنتاج في مصانع الذخيرة المصرية تعمل للجيش العراقي، واستمر ذلك طوال فترة الحرب هذا بالإضافة إلى اشتغال الملايين من العاملة المصرية في العراق مماكان فيها من الأثر الإيجابي للطرفين. للمزيد أنظر: اللواء الدكتور كمال أحمد عامر، الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، تاريخ النشر بلا، ص ٢٧.

٣٣ - جريدة كريستان ساينس مونتر، ٢٣/٤/١٩٨٢م، نقلاً عن: المرجع السابق، ص ٥١.

٣٤ - سعد هزاع عمر، الوحدة العربية في سياستي مصر والعراق، دراسة مستقبلية مقارنة، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، معهد القائدات للمؤسس للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠١، ص ١٨٠.

٢) مجلس التعاون العربي:

شهدت بغداد في شباط . فبراير سنة ١٩٨٩م، التوقيع على ميثاق مجلس التعاون العربي والذي ضم تحت مظله كل من العراق، مصر، الأردن، اليمن^(٣٥). جاء تشكيل هذا المجلس لبلوغ العلاقات العراقية المصرية إلى الذروة الإيجابية.

و كان من المخطط له إن يقوم مجلس التعاون العربي بدور ريادي في المنطقة، لولا الحروب التي آتت عليها^(٣٦)، لكن هذا الحلف لم يستمر مدة طويلة وأستمر لبضعة أشهر فقط، حيث أنه انفرط بمجرد اجتياح الجيش العراقي للكويت في ٢ آب . أغسطس سنة ١٩٩٠م، حيث وقفت كل من اليمن والأردن إلى جانب العراق، وقفت مصر إلى جانب الكويت، وبهذا انحل هذا المجلس^(٣٧).

رابعاً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ١٩٩٠-٢٠٠٣.

شهدت الحقبة التي تلت حرب الخليج الثانية ولغاية احتلال العراق وإسقاط نظامه السياسي عدة مراحل تجلّت أهمها في:

١) حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١:

جاءت قضية الاجتياح العراقي للكويت لتدمر العراق بصورة خاصة والوطن العربي بصورة عامة، لما ترتب عليها من انقسامات وتشذرات داخل العراق والوطن العربي^(٣٨).

حيث انقسم الرأي العام العربي بين مؤيد والرافض. فتمثل المعسكر الأول وضم كل من الأردن، اليمن، السودان، موريتانيا، فلسطين، الجزائر، ليبيا، تونس، وهو المعسكر الذي يحتفظ على إدانة العراق، ويرفض الاستعانة بقوات أجنبية لإجبار العراق على الانسحاب من الكويت، بينما تشكل المعسكر

٣٥- د. سلمان زيدان النداوي وعصام محمد حسون، مجلس التعاون العربي، المدخل و الفلسفة والعمل، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٩، ص ٤١.

٣٦- حيث كان الهدف من تأسيس هذا المجلس، هو تحقيق أكبر قدر من التنسيق والتعاون والتكامل الاقتصادي الذي يعطي مردودات إيجابية للدول المؤسسة مما يؤدي بدوره إلى إعطاء قدر أكبر من المردودات الإيجابية على الصعيد السياسي، وتعد هذه الخطوة مدخلاً لتحقيق الأمن القومي العربي لو تم العمل به بصورة صحيحة. للمزيد أنظر: خطاب الرئيس حسني. مبارك أمام مجلس الشعب والشورى المصريين، جريدة الأهرام، القاهرة، ١٩٨٩/٣/٢١.

٣٧- مجلس التعاون العربي، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:
<http://www.wikiid..org/wiki/d98>.

٣٨- فعملت حكومة الكويت على أن تكون أداة بيد الولايات المتحدة الأمريكية لإضعاف العراق اقتصادياً وتحقيقاً لهذه الغاية، جاء في البند الخامس من الاتفاق الموقود بين وكالة المخابرات الأمريكية (CIA) ووزارة الداخلية والأمن الكويتية، على أن تقوم حكومة الكويت بمشاهدة العراق بهدف تطويره اقتصادياً، لإضعافه من أن يقوم = بأي دور يمكن أي يزيد في رصيد قوته السياسية والاقتصادية. حيث تم الكشف عن هذا الاتفاق الموقود بين وكالة المخابرات الأمريكية ووزارة الداخلية والأمن الكويتية، وثيقة سرية يعود تاريخها إلى ٢٢ تشرين . نوفمبر سنة ١٩٨٩م، تتضمن ثمان فقرات، أعدها مدير الأمن الوطني الكويتي إلى وزير الداخلية، تركز الفقرة الخامسة منها على ما يأتي: " قد اتفقنا مع الجانب الأمريكي على أن من المهم الاستفادة من تدهور الوضع الاقتصادي في العراق حتى نجبر هذا البلد على رسم حدودنا المشتركة وقد عرضت وكالة الاستخبارات الأمريكية وسائل الضغط التي نراها ملائمة مع التشديد على انه يقوم بيننا تعاون واسع في هذا الحقل. بشرط إن يتم التنسيق على أعلى مستويات " للتفاصيل انظر: محمد حسنين هيكل، (حرب الخليج) راوهم القوة والنصر، ط ١، القاهرة، دار الأهرام، ١٩٩٢، ص ٢-٣.

الثاني من دول مجلس التعاون الخليجي^(٣٩)، مصر، سوريا، المغرب، لبنان، الصومال، جيبوتي، وهو الذي يدين الإجتياح العراقي للكويت، ويساند المطلب السعودي بالاستعانة بقوات أجنبية^(٤٠). ولم تكتفِ مصر بفتح ممرها المائي المتمثل بقناة السويس لعبور ناقلات الطائرات والمدمرات وباقي قطع الأسطول لقوات التحالف^(٤١)، عبر موانئ مصر على البحر الأحمر وصولاً إلى مياه الخليج العربي فقط، وإنما ذهبت إلى إرسال حشد عسكري كثيف للمنطقة^(٤٢).

٢) مرحلة العقوبات الاقتصادية:

نتج عن هذه المرحلة فرض الحصار الاقتصادي على العراق، الذي دام قرابة ثلاثة عشر عاماً، وقد شاركت الدول العربية ومنها مصر قبل دول العالم في تطبيق هذا الحصار مع باقي دول العالم، الذي أسفر عن وفاة قرابة مليون طفل عراقي بسبب ذلك الحصار^(٤٣). وامتازت هذه المرحلة بالعصبية والتدهور بين العراق ومصر، وبقي الحال على ما هو عليه بين الحكومة العراقية والمصرية لغاية ما عدلت الحكومة المصرية موقفها الرسمي من العراق على الرغم من الأزمة التي خلفتها أحداث الثاني من آب - أغسطس سنة ١٩٩٠م، في العلاقات بينهما لذلك نجد ان موقف الحكومة المصرية قد طرأ عليه نوع من التحسن عندما أدركت بخطورة الحصار على العراق^(٤٤) وان المسوغ لاستمرار هذا الحصار قد انتفى. وعلى أساس هذا الموقف انطلقت الدعوات والمبادرات الشعبية المصرية المتعددة المحالات لتأكيد ضرورة رفع الحصار، فقد وصلت إلى بغداد منذ سنة ٢٠٠٠م، العديد من الطائرات المصرية خارقة الحظر

٣٩- مجلس التعاون الخليجي: مجلس التعاون لدول الخليج العربية هو منظمة إقليمية عربية مكونة من ست دول أعضاء تطل على الخليج العربي هي السعودية والإمارات والكويت وقطر وسلطنة عُمان ومملكة البحرين. كما يعد كل من العراق باعتباره دولة عربية مطلة على الخليج العربي واليمن (الذي يمثل الامتداد الاستراتيجي لدول مجلس التعاون الخليجي) دولا مرشحة للحصول على عضوية المجلس الكاملة حيث يمتلك كل من العراق واليمن عضوية بعض لجان المجلس كالرياضية والصحية والثقافية. تأسس المجلس في ٢٥ أيار - مايو ١٩٨١م، بالاجتماع المنعقد في أبو ظبي بالإمارات العربية المتحدة وكان كل من الشيخ جابر الأحمد الصباح والشيخ زايد بن سلطان آل نهيان من أصحاب فكرة إنشائه. يتولى رئاسة الأمانة العامة للمجلس حالياً عبد الرحمن بن حمد العطية. ويتخذ المجلس من الرياض مقراً له. للمزيد انظر موقع مجلس التعاون الخليجي على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط: <http://www.gcc-sg.org>

٤٠- هكذا وقفت مصر على رأس الدول التي عارضت الدخول العراقي للكويت، وتلبية للمطلب السعودي بالمشاركة في الدفاع عن أراضيها، طبقاً لمعاهدة الدفاع العربي المشترك. للمزيد أنظر: اللواء الدكتور، كمال أحمد عامر، مرجع سابق، ص ١٢٣. ٤١- قوات التحالف: وهو أكبر تجمع عسكري تشكل بعد الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م، حيث جمعت الولايات المتحدة الأمريكية اربع وثلاثين دولة، غالبيتهم دول كبرى، ضد العراق بعد قيام الاخير بجتياح الكويت سنة ١٩٩٠م، كما شهد هذا التحالف مشاركته دول عربية على رأسها مصر، دمر العراق على ضوء هذا =التحالف، حيث انه صار اقرب زمائكون الى دول ما قبل الميلاد بما شكله التحالف من قوة عسكرية مدمرة، وعلى الرغم من كبر التحالف وقوة المفردة الا ان العراق قاوم هذا العدوان ما يقارب شهرين تمكن خلالها الى الحاق خسائر لا يستهان بها.

٤٢- حيث وافقت مصر في ١١ آب - أغسطس سنة ١٩٩٠م، بإرسال قوات عسكرية مصرية إلى السعودية^(٤٢)، وفعلاً تم إرسال هذه القوات وعددها (٣٦) ألف جندي مجهزاً بأحدث الأسلحة لكي تقف إلى جانب قوات التحالف الغربي. للمزيد أنظر: تصريحات تركي ابن نصار عبد العزيز، مسؤول قاعدة الملك خالد الجوية، جريدة الاجبار، القاهرة، ١٨/١٠/١٩٩٠.

٤٣- خضير إبراهيم سلمان محمد الحمداني، مرجع سابق، ص ١٠٠. ٤٤- هنا دعت الحكومة المصرية الأقطار العربية إلى مراجعة سياساتها تجاه العراق بعد مرور ثلاثة عشر سنة على العدوان والحصار، وأعربت الشركات المصرية عن استعدادها لتزويد العراق باحتياجاته في مجالات تأهيل وتحديث البنى التحتية المتضررة. للمزيد انظر: المرجع السابق، ص ١١٤.

الجوي على العراق وحاملة أعداداً كبيرة من المسؤولين والمثقفين والفنانين والرياضيين والمحامين ومن كافة الشرائح الاجتماعية^(٤٥).

٣ حرب الخليج الثالثة سنة ٢٠٠٣:

شهدت هذه المرحلة من وجهة نظرنا ازدواجية بالمعايير، حيث كان الموقف الرسمي المصري مشوشاً وغامضاً فتجلى بالرفض الكلي لعملية احتلال العراق وتغيير نظامه السياسي، من خلال نشاطات وتحركات الرئيس مبارك للحيلولة دون وقوع الغزو^(٤٦). لكن بالمقابل نجد إن تسهيلات مصرية قدمت للولايات المتحدة الأمريكية تمثلت في الدعم اللوجستي^(٤٧)، لقواتها العسكرية التي شرعت في عملية غزو واحتلال العراق من خلال عدة وسائل هي:

أ) سماح الحكومة المصرية للقوات الأمريكية الغازية حيث وافقت الحكومة المصرية من المرور عبر قناة السويس على مرور القطع الحربية الأمريكية و البريطانية بحجة أن مصر ملتزمة باتفاقية القسطنطينية^(٤٨).

ب) المساندة الإعلامية المصرية^(٤٩).

ج) الدعم الغذائي المصري^(٥٠).

ونحن هنا نقول إن الحكومة المصرية كانت تتمسك باتفاقية القسطنطينية، التي مر على إبرامها ما يقارب (١٢٠) سنة، وتسعى لتفعيلها والعمل بمقتضاها، فلماذا لا تسعى لتفعيل اتفاقية الدفاع العربي

٤٥ - سعد هنزاع عمر، مرجع سابق سابق، ٢٠٠٨.

٤٦ - حيث أجرى الرئيس المصرية عدة محادثات ولقاءات مع المسؤولين الدوليين والاقليميين ومنها التقى في ٤ كانون الثاني - يناير ٢٠٠٣، وزير الخارجية التركي عبدالله غول في شرم الشيخ وبحث معه تطورات الازمة العراقي. وفي ١٤ من الشهر والسنة ذاتها، قام ايضا بزيارة سريعة إلى المملكة العربية السعودية التقى خلالها = الملك فهد بن عبد العزيز وولي عهده، لبحث سبل تجنب شن حرب على العراق، واعقبها بفترة قصيرة. بجولة اوروبية شملت كل من (المانيا - فرنسا) لبحث الموضوع ذاته، وفي ٢٤ كانون الثاني - يناير سنة ٢٠٠٣م، شاركت مصر في اجتماع لدول جوار العراق، لبحث والعمل على الحل السلمي للامزة العراقية. كما استقبل الرئيس مبارك في ١٥ شباط - فبراير سنة ٢٠٠٣م، العاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، وقد خرجت القمة المصرية - الاردنية مؤكدة على اهمية استمرار الجهود لابعاد شبح الصراع العسكري في العراق. للمزيد انظر: جريدة الشرق الاوسط، ٢٠٠٣/١/١٥.

٤٧ - الدعم اللوجستي: logistical suort هو المساندة المتعلقة بالإمداد والتموين للقوات العسكرية في عملياتها المتقدمة لغزو أراضي الغير، وكما تحتاج القوات الغازية للدعم اللوجستي تحتاج إلى العمليات الإعلامية العسكرية التي تعمل على تحيئة الرأي العام في الأراضي المستهدفة بالغزو تحت أسماء ومسميات الأهداف النبيلة والغايات السامية. وتقديم الدعم اللوجستي مشاركة فعلية في العمليات العسكرية لان قوات بدون دعم لوجستي تعني الهزيمة والاندحار والتقهقر بحثاً عن الماء والطعام. للمزيد انظر: سليمان بن صالح الخراشي، مرجع سابق.

٤٨ - هي الاتفاقية التي وقعتها الخلافة العثمانية ومصر في ولايتها وأكدت الحكومة المصرية، إن مصر لا تستطيع إن تمنع أي قطعة حربية أجنبية من المرور في القناة، الا اذا كانت مصر في هي المقصودة بالحرب. للمزيد انظر: د. علي الدين هلال، العراق وفاق المستقبل، مداخله في ندوة المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، في ١٩/٧/٢٠٠٦، ص ١٥.

٤٩ - حصلت القوات الأمريكية دعماً واضحاً من بعض وسائل الإعلام ومن هذا الدعم نشر جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم الخميس المصادف ٢٠ آذار - مارس سنة ٢٠٠٣م، إعلاناً مدفوع الثمن باسم حركة الوفاق الوطني العراقي الممولة من الولايات المتحدة الأمريكية، بما أسمته جرائم صدام. للمزيد انظر: جريدة الأهرام، ٢٠٠٣/٣/٢٠.

٥٠ - جاء هذا الدعم من خلال السماح للقوات الأمريكية ولبريطانية من الحصول على الدعم الغذائي اللازم خلال حملتها على العراق من الاسواق المصرية، وهذا ماتم رصده من خلال فلم وثائقي عن حال الجيش الامريكي خلال عملية الاحتلال، حيث رصدت الكامرة صورا لعبوات يرتقل مكتوب عليها بيانات تؤكد ان البرتقال مصري طازج من إنتاج شركة اسمها سقارة وبث الفيلم من خلال شاشة ابو ظبي الفضائية في يوم ٢٥ آذار - مارس سنة ٢٠٠٣م.

المشترك التي لا يتجاوز عمرها نحو (٦٠) سنة التي تشكل مصر احد ابرز ركائزها^(٥١)، وهذا ما حصل عند الدخول العراقي للكويت ١٩٩٠م^(٥٢).

هكذا يمكن القول إن الموقف المصري لم يكن سلبياً تجاه العراق فقط، وإنما كان إيجابياً بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية والإطراف التي لها مصلحة في احتلال العراق وتدميره^(٥٣)، حيث كان الدعم اللوجستي المصري مؤثراً وذو اثر ملموس بالإسراع من عملية احتلال العراق.

اما عن الموقف الشعبي المصري من الغزو الانكلو أمريكي للعراق فكان أكثر وضوحاً من الموقف الحكومي، حيث شهدت الساحة السياسية المصرية حالة من الإجماع بين كافة المؤسسات السياسية والثقافية^(٥٤)، والدينية^(٥٥)، ومنظمات المجتمع المدني^(٥٦)، على رفض الغزو والاحتلال الانكلو أمريكي للعراق.

خامساً: السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق من ٢٠٠٣-٢٠١١.

شهدت الحقب التي تلت حرب احتلال العراق ولغاية خلع مبارك وتولي الرئيس محمد مرسي وخلعه أيضاً عدة مراحل تجلت أهمها في:

٥١- وبمقتضاها تعتبر مصر في حالة حرب حال وقوع العدوان على أي دولة عربية عضو في اتفاقية الدفاع العربي المشترك، والعراق من بين هذه الدول.

٥٢- نجد ان مصر قد فعلت معاهدة الدفاع العربي المشترك، لكن ما لا يمكن تفسيره هو الموقف المصري من الغزو والاحتلال الانكلوأمريكي، ذلك ان مصر لم تتخذ أي موقف ينسجم مع حجم الفعل الأمريكي. فمصر التي جمعت العرب واتحدت مع الغرب عند الدخول العراقي للكويت، لم تتخذ أي موقف إزاء ما حصل في العراق. للمزيد انظر: د. خيرى عبد الرزاق جاسم، العراق ومصر.. مبادئ ام مصالح، مجلة شؤون عراقية، مركز العراق للدراسات، بغداد، العدد ٣، ٢٠٠٣، ص ٤١.

٥٣- المرجع السابق، ص ٤٢.

٥٤- تميز موقف أحزاب المعارضة المصرية بالرفض القاطع لعملية الغزو والاحتلال الانكلو أمريكي للعراق، وإعلانها الدعم الكامل للشعب العراقي، ومناصرة المقاومة العراقية، ومساندتها ضد القوات الغازية، مستندة في ذلك على ان الغزو والاحتلال يعد انتهاكاً لميثاق الأمم المتحدة، والمواثيق الدولية، وأنة يهدف إلى تغير نظام العراق بالقوة، الذي هو من أوائل الدول بمنظمة الشرق الأوسط استقلالاً، وانضماماً إلى "عصبة الأمم" ومن =بعدها "الأمم المتحدة". ومن أهم هذه الأحزاب هي (حزب الواحد حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، الحزب الناصري). للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، مرجع سابق، ص ١٠٦.

٥٥- أن مؤسسات الدينية لها الأثر البارز والملموس في التأثير على الشارع العالمي بصورة عامة والشارع العربي بصورة خاصة. عليه كان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف سابقاً في إدانته لغزو العراق واحتلاله من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في سنة ٢٠٠٣م، حيث صرح الشيخ "علي أبو الحسن" رئيس لجنة الفتوى بالأزهر آنذاك في شهر شباط - فبراير سنة ٢٠٠٣م، بفتوى يؤكد فيها "وجوب قتال القوات الأمريكية إذا احتلت العراق، وأن دماء الجنود الأمريكيين والبريطانيين تعد في هذه الحالة حلالاً، كما أن قتلى المسلمين يعدون شهداء. فضلاً عن مواقف الكنائس المصرية الثلاث من الأزمة العراقية الذي لم يختلف عن الموقف الرسمي والشعبي والإسلامي في مصر، حيث أدانت عملية الغزو ومن ثم الاحتلال الأنكلو أمريكي للعراق، فضلاً عن مشاركة الكنائس في المؤتمرات التي نظمتها مختلف القوى السياسية الرسمية والمعارضة الراقضة للاحتلال الأنكلو أمريكي للعراق. للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤، مرجع سابق، ص ١٠٩.

٥٦- قامت مؤسسات المجتمع المدني والنقابات في مصر بعدد من الخطوات العملية للتبديد بعملية الغزو، كإرسال قوافل إغاثة، وتنظيم مؤتمرات وندوات، جماهيرية، وقيادة مظاهرات احتجاج للعدوان، وتأييدها المطلق للشعب العراقي، ورصد قوائم المقاطعة الاقتصادية لدول الاحتلال. فأشهدت مختلف الجامعات المصرية ميدان ومظاهرات منددة بالحرب على العراق، وضمت المظاهرات الإلف من المتظاهرين. كما شهدت عدد من المحافظات المصرية مظاهرات لدعم ومساندة وتأييد العراق وشعبه، والتنديد بالعدوان الغاشم^(٥٦)، مثل المظاهر التي شهدتها محافظة دمياط قبيل الغزو الأنكلو أمريكي، وضمت ما يقارب ((٢٥٠)) إلف متظاهر وكما شهدت محافظة الإسكندرية تظاهرة ضمت أكثر من مئة إلف متظاهر، منددين بالحرب على العراق. للمزيد انظر: التقرير الاستراتيجي العربي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣، مرجع سابق، بلا ص.

١) السياسة المصرية بعد الاحتلال:

عرجت مصر بعد تغيير النظام السياسي في العراق إلى إتباع عدة أساليب لإدارة الحالة مع العراق كان من أهمها أسلوب الترقب والانتظار مع التأكيد على وحدة العراق وضرورة إنهاء التواجد الأجنبي العسكري، دون إقصاء لأي طرف عراقي لأي سبب كان. أما عن الأسلوب الثاني فكان التكيف الإيجابي مع التطورات السياسية الجارية في العراق، لاسيما بعد حزيران - يونيو سنة ٢٠٠٤م، حيث صدر قرار الأمم المتحدة (١٥٤٦) الذي صاغ أسس العملية السياسية في العراق^(٥٧).

ونلاحظ هنا إن الحكومة المصرية عملت إلى الجمع بين المقصدين، أي التمسك بالمبادئ^(٥٨)، والمحافظة على الحد الأدنى من العلاقات المصرية الأمريكية على نحو لا يمنح تبريراً لخصوم العلاقة المصرية الأمريكية لتمزيقها بما يؤدي إلى استعداد الإدارة الأمريكية ضد مصر^(٥٩).

ومع سقوط بغداد في ٩ نيسان - أبريل سنة ٢٠٠٣م، أخذت مصر بتعديل مواقفها بشأن العلاقة مع القوى والأحزاب المعارضة في عراق ما بعد صدام، بعد أن كانت السياسة المصرية تجاه العراق طيلة فترة ما بعد حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩٠م، تقوم على رفض أي تدخل في الشؤون الداخلية العراقية^(٦٠)، ورفض إجراء أي اتصالات مع جماعات المعارضة العراقية بمختلف تياراتها، ولقد سببت هذه الخاصية نتائج سلبية على الموقف المصري من ترتيبات ما بعد صدام في العراق، حيث عانت مصر من الافتقار إلى الروابط مع جماعات المعارضة، بل والعجز عن التعرف على التوجهات وبرامج هذه الجماعات على كافة القضايا المتعلقة بمستقبل العراق^(٦١).

إن بمجرد انتهاء العمليات العسكرية واحتلال بغداد، قال الرئيس مبارك "أنه من الضروري تحقيق استقرار الوضع في العراق، وإعادة بناء مؤسسات الدولة، وإنهاء الفوضى التي تلت سقوط بغداد"^(٦٢). وفي ٢ حزيران - يونيو سنة ٢٠٠٤م، اعترفت مصر بالحكومة المؤقتة، وذلك بعد إرسال برقيتي تهنئة من الرئيس مبارك إلى كل غازي الياور، لتوليه رئاسة الجمهورية العراقية، والدكتور إياد علاوي، لتوليه رئاسة

٥٧- عبد المنعم منصور علي، العلاقات المصرية الإيرانية الجزء الثاني، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية الانترنت على الرابط:

<http://aabdmnm.net>

٥٨- فأصرت مصر على مواقفها منذ بداية الأزمة على إبراز تمسك مصر بمبادئ القانون الدولي وطرح رؤية متكاملة نحو مصير العراق (معارضة الحرب، وضمان استقلال وسيادة العراق ووحدته الإقليمية). في مقابل تعاون العراق فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل. بل أن مصر رفضت مجرد المشاركة في تبني مبادرات إقليمية ودولية تتضمن تنحي الرئيس العراقي صدام حسين مقابل توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن تهديد العراق بالغزو.

٥٩- د. محمد السيد سعيد، الاحتلال الأمريكي للعراق رؤية مصرية، ١ ط، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٠٧.

٦٠- مصر والحرب على العراق، مرجع سابق.

٦١- لقد حاولت مصر بعد الاحتلال الانكلوامريكي للعراق أن تتلافى هذا النقص من خلال الاتصال بجماعات العراقية التي لا يثير الاتصال بما اية حساسيات مثل المجلس الأعلى الإسلامي والأحزاب الكردية الرئيسية وتجمع الديمقراطيين المستقلين. كما أعلن وزير الخارجية المصري آنذاك أحمد ماهر عن ترحيبه بلقاء كل من يريد أن نستمع إليه أو يستمع إلينا.

٦٢- وأصدر مكتب رئاسة الجمهورية في مصر بياناً يوم ١٤ تموز - يوليو سنة ٢٠٠٣م، يرحب به تشكيل مجلس الحكم الانتقالي العراقي، وصفوه بأنه خطوة إلى الأمام، وأنه من شأنه أن يعيد الاستقرار إلى العراق، = وخطوة إيجابية نحو وضع دستور جديد وحكومة منتخبة^(٦٢). تتوج الاعتراف المصري بمجلس الحكم الانتقالي العراقي بتتابع زيارة أعضاء هذا المجلس إلى القاهرة تبعاً. للمزيد انظر: أحمد مسعود، وفد مجلس الحكم الانتقالي العراقي يصل إلى القاهرة في بداية زيارته إلى مصر، مقال منشور في جريدة الاهرام ٢٠٠٣/٨/٤.

مجلس الوزراء العراقي، مؤكداً على دعم مصر الكامل لجهودها في حشد الإمكانيات لبناء الدولة العراقية، وايضاً ترسيخ دعائم السيادة والاستقلال والحكم الوطني تحقيقاً لما يصبوا إليه شعب العراق^(٦٣).

هكذا شهدت الفترة التي عقت سقوط بغداد واختلالها تحركاً مصرياً واسعاً اتجه العراق تتوج بكونها من أوائل الدول العربية التي أعادت تمثيلها الدبلوماسي بالعراق، الا ان هذا لم يستمر طويلاً، فشرعت قوة الإرهاب إلى اختطاف القائم بالإعمال المصري في بغداد السفير "إيهاب الشريف" في ٣ تموز - يوليو سنة ٢٠٠٥م، ومن ثم قتل على أيدي عناصر القاعدة بعد أربع أيام من اختطافه^(٦٤).

وفي هذا إشارة واضحة إلى عدم رغبة بعض الأطراف العراقية والإقليمية بالتواجد الرسمي المصري على الساحة العراقية، وترهيب البعثات العربية الرسمية الاخرى^(٦٥)، وهنا اغلقت مصر العربية سفارتها ببغداد بعد هذا العمل الإجرامي^(٦٦).

غير أن التطورات السياسية التي شهدتها العراق منذ بداية سنة ٢٠٠٦م، وازدياد التوتر على الصعيد الداخلي وظهور مؤثرات بداية فتنه طائفية^(٦٧)، أريد من خلالها تأزيم الأوضاع العراقية وتأليب الرأي العام العربي على ما يحصل في العراق^(٦٨).

وهنا عملت مصر العربية عن قصد او غير قصد الى التعبير عن الرؤيا او الموقف إزاء ما يحصل في العراق. وكان التعبير عن ذلك قد جاء على لسان الرئيس المبارك الذي قال في حديث لقناة العربية الفضائية قائلاً "ان العراق يعيش حالة حرب أهلية"، وأضاف بقوله "ان العراق سيشهد أياما عصبية بمجرد انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية منه"، وأضاف أيضاً "ان ولاء أغلب الشيعة في المنطقة هو ليس لدولهم، وإنما إلى إيران"^(٦٩).

لأريب ان تصريحات الرئيس مبارك قد أثارت ردود فعل قوية غاضبه داخل العراق وخارجه^(٧٠). هكذا يتجلى لنا أن العلاقات العراقية المصرية دخلت في فترة سبات كان بدايتها تبلور بعد خطف وقتل "السفير إيهاب الشريف"، وثانيها كان للصدى الذي تركه تصريح "الرئيس مبارك".

٢) عودة النشاط الدبلوماسي المصري إلى بغداد:

شهدت الفترة التي أعقبت خطف ومن ثم قتل السفير "إيهاب الشريف" في تموز - يوليو سنة ٢٠٠٥م، ركوداً مصرياً رسمياً تجاه العراق، إلى غاية يوم ٥ تشرين الأول - أكتوبر سنة ٢٠٠٨م، الذي

٦٣- جريدة الإهرام، ٢٠٠٤/٧/٢.

٦٤- جريدة الأهرام، ٢٠٠٥/٧/٤.

كذلك: جريدة الأهرام، ٢٠٠٥/٧/٨.

٦٥- د. حميد شهاب أحمد، قراءة في الموقف العربي الرسمي والدبلوماسي من العراق بعد ٢٠٠٣، مرجع سابق، ص ١٥.

٦٦- د. حميد شهاب أحمد، العراق.. المشكلة والحل.. في ظل المتغيرات الحالية، مرجع سابق، ص ٤٤.

٦٧- د. خيرى عبد الرزاق جاسم، مرجع سابق، ص ٤٤.

٦٨- ان المستفيد الأول والاكبر من الفتنة الطائفية في العراق هي الولايات المتحدة الامريكية، فبعد تزايد حدة المقاومة العراقية ضدها في عموم محافظات العراق وعجزها عن التصدي لذلك، لجأت الى تغيير معادلة الصراع من (عراقية - امريكية) الى (عراقية - عراقية)، وهو ما نتجت به الى حد ما في الفترة التي تلت تفجير = (مرقدي الامامين العسكريين) في سامراء، مما ادى ذلك الى زيادة العنف ضد المدنيين الابرياء الى ان جاءت خطة فرض القانون مع نهاية سنة ٢٠٠٨م، لتعيد الحياة الى شوارع بغداد من جديد.

٦٩- قناة العربية الفضائية، مرجع سابق.

٧٠- د. خيرى عبد الرزاق جاسم، مرجع سابق، ص ٤٤.

شهدت بغداد فيه زيارة أول وزير خارجية مصري لها منذ انتهاء العمليات العسكرية في حرب الخليج الثانية سنة ١٩٩١.

وهنا بدء الموقف المصري الرسمي بالتغيير منذ هذه الزيارة، وبدأت بوادر انفراج في العلاقات العراقية المصرية تلوح بالأفق. وذلك بدفع عاملين كان لهما الأثر الملموس في ذلك الانفراج كان أولهما، التحسن النسبي في الحالة الأمنية في العراق ومارافقها من اندفاع عراقي رسمي نحو الدول العربية وخصوصاً نحو مصر العربية لما تمثله من ثقل استراتيجي وسياسي في منطقة الشرق الأوسط، أما السبب الآخر كان هو إدراك الحكومة المصرية أن مصر بحاجة العودة إلى العراق، بما يحتويه العراق من إمكانيات اقتصادية ضخمة، وإمكاناتها من الحصول على عقود إعادة الأعمار في العراق، و ما يمثل ذلك من تحريك إلى عجلة الاقتصاد في مصر^(٧١).

وبعد هذا الانفتاح المصري الرسمي شهدت سنتي ٢٠٠٨ و ٢٠٠٩م، تعاوناً عراقياً مبرحاً في شتى المجالات توجت بالتوقيع على مجموعة كبيرة من البروتوكولات والاتفاقيات التي تعزز التعاون بين الدولتين^(٧٢).

تتوج هذا التعاون بإعادة فتح السفارة المصرية ببغداد نهاية سنة ٢٠٠٩م، وعلى الرغم من الهجوم الإرهابي الذي وقع على القنصلية المصرية ببغداد وتعرضها إلى الدمار، إلا أن الحكومة المصرية لم تغلق سفارتها على غرار إحداث سنة ٢٠٠٥م.

وشهدت بغداد يوم ٢٦ كانون الأول - ديسمبر سنة ٢٠١٠م، زيارة السيد " أحمد أبو الغيط " وزير الخارجية المصري، وهو بذلك أول مسؤول عربي يزور العراق بعد تشكيل الحكومة الجديدة، وفي مستهل هذه الزيارة افتتح الوزير القنصلية المصرية في أربيل، وهي بدورها تعد أول قنصلية عربية في محافظات إقليم كردستان العراق.

٣) كوابح ومعوقات التواجد المصري المباشر في العراق:

هنالك عدة كوابح ومعوقات تقف دون الحيلولة إلى جذب الاستثمار العالمي بصورة عامة والاستثمار المصري بصورة خاصة، وتمثل هذه الكوابح والمعوقات في الخلل الأمني الشديد وما يصاحبه من إخطار على الأشخاص والأموال والرسائل التجارية وما تفرضه التخوفات من اتساع عمل القطاع الخاص. بالإضافة إلى غياب دور الدولة بمفهوم عدم وجود سياسة اقتصادية ذات خطط واضحة محددة الأهداف والاتجاهات، وتركيز عمل القطاعات الاقتصادية الرسمية على تسير الأمور. ومع انشغال الجميع بالعراق

٧١- هذا ما كان واضحاً من تصريحات وزير الخارجية المصرية من بغداد، حيث قال " لقد بحثنا مع الرئيس الطائفي والجانب العراقي سبل مضي قدماً في بناء علاقات مصرية - عراقية متينة وصحية "، وأضاف " أكدنا = الجانب العراقي أن مصر تقف إلى جانب العراق وتقدم له كل ما بوسعها من عدم "، وتابع حديثه قائلاً " إننا نرى أن العراق يتحرك بحجة الخروج من الموقف المساوي الذي تعرض له على مدى عقود، وقد حان الوقت الآن لكي تعود العلاقات الثنائية المصرية - العراقية إلى مجراها الطبيعي ويعود الاقتصاد إلى سابق عهده "، وقال أيضاً " إن مصر تعمل على تشجيع الشركات المصرية للعودة للاستثمار في العراق في مختلف القطاعات، وأن العلاقات المصرية - العراقية شهدت تطوراً هائلاً في مختلف المجالات " . للمزيد انظر: جريدة الأهرام، ٢٤/١٠/٢٠٠٨.

٧٢- كانت أولى هذه الاتفاقيات مع وزارة النفط العراقية، أعقبها بعدها مجموعة من الاتفاقيات ومذكرات التفاهم مع كل من (وزارة الكهرباء، وزارة البيئة، وزارة الأعمار والإسكان، وزارة الزراعة، وزارة الثقافة، وزارة الصحة، وزارة العلوم والتكنولوجيا، وزارة التربية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وزارة الشباب والرياضة، وزارة الداخلية، وزارة الخارجية) للمزيد انظر: مذكرات التفاهم والاتفاقيات العراقية المصرية، وزارة الخارجية العراقية، الدائرة العربية.

بداية من الأجهزة الحكومية والمؤسسات العامة وحتى شركات القطاع الخاص والفرد العادي بالاستحقاقات السياسية. فضلاً عن ضعف القطاع الخاص العراقي الجاد والفاعل والمتخصص الذي يمكن التوجه إليه والعمل معه. وارتفاع تكاليف العمل التجاري بالعراق سوء لدرء المخاطر الأمنية والمالية أو بسبب تفشي ظاهرة الفساد المالي والإداري. وأخيراً يتمثل في غياب آليات العمل الداعمة والضامنة للعمل الاقتصادي مثل البنوك والشركات التأمين التي من شأنها الحد من مخاطر الخلل الأمني على العمل التجاري.

٤) رؤية مستقبلية للسياسة الخارجية المصرية:

من خلال استعراض السياسة الخارجية المصرية منذ قيام الدولة المصرية لغاية سقوط نظام الإخوان برئاسة الرئيس مرسي، هذا بالإضافة إلى رصد وتحليل محددات السياسة الخارجية المصرية بشقيها الداخلية والخارجية، ومدى تأثير كل من ذلك على رسم خطى السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق نستطيع القول ان هنالك عدة سيناريوهات من الممكن تطبيقها تجاه العراق.

يتمثل السيناريو الأول: بالتقارب العراقي الإيراني على كافة الصعد "السياسية، الثقافية، الاقتصادية، الأمنية"، والتفاهم الحكومي العراقي حول ذلك، والقطيعة المصرية الإيرانية الممتدة من ثلاثة عقود أو أكثر. والتنافر والبرود مابين الحكومة العراقية ودول مجلس التعاون الخليجي^(٧٣)، وتقارب المصري ودول مجلس التعاون الخليجي على كافة الأصعدة^(٧٤)، وموقفها المؤيد لثورة ٣٠ حزيران سنة ٢٠١١م، ومن ثم دعمها للانتخابات الرئاسية والرئيس عبد الفتاح السيسي^(٧٥).

هذا بالإضافة إلى التقارب المنظور الخارجي المصري بعد الإطاحة بحكم محمد مرسي من السياسة الخارجية الغربية والأمريكية^(٧٦)، وخاصة في ملف إيران النووي، والقضية الفلسطينية. عليه هنا وفق المعطيات أعلاه يمكن القول سياسة مصر الخارجية تجاه العراق سوف تسير نحو التجميد أو القطيعة.

٧٣- يتجلى ذلك في كافة الصور والمثال القريب الحي هو نقل بطولة الخليج العربي من البصرة إلى جدة. وهنالك رأي في الأفق بنقل اجتماع وزراء النقل العرب من بغداد أيضاً.

٧٤- توجد هنالك خصوصية محددة من مصر تجاه الدول الخليجية الست، حيث تقلص قدرة مصر ما بعد إسقاط حكم الإخوان والإطاحة بالرئيس مرسي على استحداث سياسة جديدة بشأن دول أعلاه، فضلاً عن المصالح الهائلة التي تجعل الدول الخليجية موطناً لأكبر مصالح سياسية واقتصادية وبشرية لمصر تتجاوز أي منطقة أخرى بالعالم. للمزيد انظر: معتز سلامة، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

٧٥- سارعت الدول الخليجية إلى تأييد موقف الجيش المصري باعتباره انتصاراً للشعب، تجلّى ذلك بتقديم التهاني للرئيس المؤقت عدلي منصور عقب تولي المنصور، والإعلان عن دعمهم الكامل لمصر في الفترة الانتقالية الجديدة، وتأكيداً على مواقفهم الداعمة لعزل الرئيس مرسي، قدمت السعودية مساعدات عاجلة لدعم الاقتصاد المصري بمئة في مليار دولار كمنحة نقدية، وملياري دولار كمنحة عينية من المنتجات النفطية والغاز، هذا بالإضافة إلى ملياري دولار كوديعة لدى البنك المركزي المصري بدون مصاريف تمويلية. أما الإمارات فتقدمت منحة وقدرها مليار دولار، وإيداع ملياري دولار بدون فائدة في البنك المركزي المصري. ومن ثم قامت الكويت بتقديم أربعة مليارات دولار كحزمة مساعدات عاجلة لمصر منها مليار دولار كمنحة، ومليارين = كوديعة في البنك المركزي المصري، فضلاً عن تقديم مشتقات نفطية بمليار دولار. للمزيد انظر: جريدة المصري اليوم، ٢٩١٣/٧/١٨.

٧٦- تعد الولايات المتحدة الأمريكية ثاني أكبر مستثمر في مصر بعد الاتحاد الأوروبي، فلها لا تستطيع القاهرة الخروج أو الحياد عن الرؤى الغربية في المنطقة. للمزيد انظر: محمد النوبي، مصر مابين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي، جزيرة الورد للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص ٢٣.

اما فيما يخص السيناريو الثاني فيتمثل: في الجانب التعاوني وزيادة في قنوات الاتصال على الصعد كافة "السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الأمنية"، ما بين العراق ومصر ما بعد حكم الإخوان أي بعد ثورة ٣٠ حزيران من سنة ٢٠١٣م. وخاصة على الصعيد الاقتصادي باعتبار العراق سوقاً اقتصادياً مفتوحاً ومغرباً. وذلك وفق المعطيات الآتية.

مع الترحيب العراقي بثورة ٣٠ حزيران من سنة ٢٠١٣م، وإسقاط حكم الرئيس مرسي والإخوان في مصر، ودعمها للثورة والاعتراف بها. نلاحظ هنالك توافقاً في الرؤى السياسية.

حيث شكل موقف محمد مرسي من الأزمة السورية الذي كان يرى من انه لابد من استخدام كافة الوسائل من اجل تغيير نظام حكم الأسد، بما في ذلك استخدام العمليات العسكرية، حتى وصل الحال بها إلى الدعوة للجهاد في سوريا. بينما الحكومة العراقية كانت ترى وما زالت بضرورة دعم الديمقراطية في سوريا، لكن من دون اللجوء إلى استخدام العمليات العسكرية، هذا من جانب. وفي الجانب الآخر يتمثل في رفض التدخل التركي في شؤون المنطقة العربية، حيث كانت الحكومة التركية من الداعمين والمساندين الأساسيين لنظام الإخوان في مصر، ومن ابرز الراضين لثورة ٣٠ حزيران، وما نتج عنها^(٧٧). هذا بالإضافة إلى الدعم التركي للحراك الشعبي في العراق، المطالب بتغيير الحكومة. وهذا بطبيعة الحال لا يرضي الحكومة المصرية بعد إسقاط الرئيس مرسي، ولا يحظى بقبول لدى الحكومة العراقية.

وفق هذه المعطيات نستطيع القول من الممكن أن تشهد السياسة الخارجية المصرية توجهها فعلاً ومحورياً تجاه العراق في قادم الأيام.

وأخيراً من الممكن استمرار السياسة الخارجية المصرية على خطى نظام الرئيس السابق حسني مبارك تجاه العراق، والمتمثل في التحرك الحذر باتجاه العراق، فهو ليس بقطيعة كحالة إيران، ولا شراكة كحالة المملكة العربية السعودية^(٧٨).

الخاتمة:

تعد دراسة العلاقات العراقية المصرية من اعقد الدراسات لحساسيتها وخطورتها لان طرفي العلاقة كلاهما مؤثر إقليم وكلاهما يتمتع بمركز ثقل لا يستهان به. وان إي دراسة لتلك العلاقات تصطدم بالكثير من العقبات منها: قلة الدراسات التي تناولت الموضوع لاسيما بعد سنة ٢٠٠٣م، لتباين وجهات نظر طرفي العلاقة، هذا فضلاً عن ان مخارجات التغيير في العراق لم تؤت ثمارها بعد فما زالت في الكثير من معاملها قيد التشكيل، هذا بالإضافة عن ان الطرف الرئيس والمؤثر في تحديد طبيعة العلاقة هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهو مؤثر على طرفي العلاقة رهين بما الات السياسة الأمريكية في العراق.

٧٧- وصف رئيس وزراء تركيا رجب الطيب اوردغان، ما حدث في مصر بالانقلاب العسكري وانتقاده لمن يساند، وهو ما تجلّى في العديد من خطابه وكلماته في العديد من المؤتمرات واللقاءات الصحفية، ومن ثم قامت الخارجية التركية باستدعاء سفيرها لدى القاهرة للبحث والتشاور بعد الإدانة القوية من أنقرة لما اعتبرته تعسفاً من قوات الأمن المصرية و إفراطاً في استخدام القوة ضد المتظاهرين المؤيدين للرئيس مرسي، وهو الأمر الذي قابلته الخارجية المصرية بتحريك مائل فاستدعت السفير المصري من أنقرة في اليوم التالي، وأعلنت وقف =تدريبات البحرية المشتركة " بحر الصداقة "، مع أنقرة، والتي كان مقرر تنظيمها في الفترة من ٢١ الى ٢٨ /١٠/ ٢٠١٣م، في تركيا. للمزيد انظر: جريدة المصري اليوم، ٢٠١٣/٧/١١.

٧٨- للمزيد انظر: الفصل الثالث من الدراسة، حيث تناولنا فيها السياسة الخارجية المصرية تجاه العراق منذ سنة ٢٠٠٣م، ولغاية الإطاحة بنظام الرئيس مبارك سنة ٢٠١١م.

على الرغم من ذلك حاولنا من خلال البحث ان نتبع طبيعة العلاقات العراقية المصرية من منتصف القرن المنصرم، وعملنا جاهدين على التركيز مرحلة مابعد الاحتلال الانكليو أمريكي للعراق في سنة ٢٠٠٣م، وأوضحنا على بيان إمكانية حصول انفراج في العلاقات بعد طول انقطاع على أساس ان المصالح المتبادلة تحتم مثل هذا الانفراج، مع التأكيد ان حاجة العراق الى مصر اليوم ملحة بمقابل حاجة مصر الى العراق. فالأول بحاجة الى الثاني لأنه في مرحلة اعادة بناء وتشكيل لمرحلة جديدة، وهو بذلك بحاجة إلى تنقية الأجواء الإقليمية مع كل الأطراف المحيطة والمؤثرة لترسيخ مرحلة جديدة. و بالمقابل الثاني بحاجة إلى الأول كون العراق له وزنه الإقليمي ومؤثر في إي توازن إقليمي في المنطقة، هذا فضلاً عن وجود مغريات للتبادل التجاري وفي مجالات الأعمار. لذلك كله من ان الضرورة تقتضي ان يصغي العرب وفي مقدمتهم مصر العربية لفتح أفاق التعاون مع العراق سياسياً ودبلوماسياً واقتصادياً، واستجابة للمبادرات العراقية الرامية إلى تنقية الأجواء مع المحيط العربي.